

الشمس والقمر في يوم القيامة ينقضي زمنهما

..... الله تعالى أخبر بأن الشمس والقمر في يوم القيامة ينقضي زمنهما، فيقول تعالى: { إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ } كورت، متى يكون؟ طويت وأصبحت كالشيء المطوي. الذين يقولون: إنها مثل الأرض أربعين ألف مرة أو كما يقولون. كيف تطوى؟ وكيف تكور؟ وكيف تتساقط النجوم؟ يقول الله تعالى: { وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ } انتثرت: تساقطت كما شاء الله تعالى. فلا بد أن هذا يتحقق. ولا يتحقق في نظر هؤلاء؛ لأن نظرهم أن الأرض صغيرة، وأنها حقيرة بالنسبة إلى الشمس، وأن الجو والهواء هذا ليس له نهاية؛ إلى آخر ما يتخربصون ويقولون. لا شك أن الشمس والقمر آيتان من آيات الله تعالى؛ كما أخبر بذلك في عدة آيات، كقوله تعالى: { الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ } أي: تسير بالحساب { وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ } كل ذلك دليل على أنها خلق الله تعالى، وأنه الذي يسيرها. كذلك أيضاً في حديث الكسوف، يقول صلى الله عليه وسلم: { إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله تعالى لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته } أي: أنه هو الذي قدر سيره وقدر خسوفه. ولو كان الخسوف معروفاً سببه؛ بمعنى أن القمر خسوفه أن الأرض تحول بينه وبين الشمس فلا تسطع فيه؛ فيكون ذلك انمحاءه إلى أن يمضي وقت يغرب فيه وتسطع فيه الشمس. وكذلك أيضاً كسوف الشمس بأن يحول القمر بينها وبين الأرض، فيكون ذلك حاجزاً لبعضها كما شاء الله تعالى. لا شك أن هذا دليل على أنها تسير كما سيرها الله تعالى، أنها جارية، وأن جرياتها بإذن الله وبقضائه وقدره؛ فيعتبر ذلك من آيات الله التي قدرها وسيرها. يؤمن المسلم بما يعرفه من هذه الآيات الدالة على عظمتها، ويعرف بأن آيات الله كثيرة، إذا كان الله نصب هذه الآيات؛ فيعتبر بها المسلم. آيات الله كثيرة، كما في قوله تعالى: { وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيَذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَتَّبِعُوا مِنْ قَضِيئِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ } يعني أن هذه من الآيات التي يستدل بها على عظمة الخالق. فكذلك الشمس والقمر آيتان من آيات الله تعالى. ما ورد في بعض الأحاديث من تقديرهما أو من مدة سيرهما؛ الغالب أن تلك الأحاديث ليست تثبت. والأكثر منها أنه إما من الإسرائيليات، وإما من أحاديث القصاص وما أشبهها. كما مر بنا شيء كثير مما يدل على ذلك. ولكن وردت أحاديث صحيحة في أن الشمس والقمر يكوران يوم القيامة وأنهما عقيران يوم القيامة في النار. وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بأنها تمثل للذين يعبدونها يقول: { يتبع من كان يعبد الشمس الشمس. ومن كان القمر، القمر } الذين يعبدونها في الدنيا. { وتمثل لهم فيتبعونها إلى أن يسقطوا في النار } لأنهم يعبدون غير الله. ونعترف أيضاً بما جعل الله تعالى فيهما من المنافع. لا شك أن فيهما منافع للناس؛ ففي الشمس حرارتها التي تشاهد؛ أنها تذكر بحرارة النار، نعرف بأن بيننا وبينها أمداً بعيداً، قيل: إنها في السماء؛ كما في قوله: { تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا } أنها مركبة في السماء، وبيننا وبين السماء مسيرة خمسمائة سنة؛ أي: بالسير المعتاد كما ورد ذلك في أحاديث صحيحة. ومع ذلك تصل حرارتها شديدة إلى الأرض، تشاهد في الصيف الشديد أنها شديدة الحرارة، يذكرنا الله تعالى بهذه الحرارة؛ حرارة وهج النار؛ ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: { إذا اشتد الحر فأبردوا بالصلاة فإن شدة الحر من فيح جهنم } وأخبر به { أن الله أذن للنار بنفسين: نفس في الشتاء، ونفس في الصيف. فأبشيد ما تجدون في الصيف من السموم من سموم جهنم وأشد ما تجدون في الشتاء من زمهرير جهنم } . فكذلك حرارتها تُذكر المسلمين بأن يعتبروا، وأن يعرفوا قدرة الله تعالى: كيف بُعد هذه الشمس؛ ومع ذلك يصل نورها، ويصل أيضاً حرارتها، وتنور داخل البيوت؛ كما شاء الله تعالى. وكذلك أيضاً القمر فيه فائدة؛ أنه يهتدي به الناس في ظلمات الليل؛ فينير لهم الطرق إذا كانوا في بَرية مظلمة. وكذلك أيضاً النجوم يهتدون بها في ظلمات البر، وفي ظلمات البحر. كل ذلك جعله الله من الآيات التي يعتبرون بها، ويستدلون بها على عظمة من خلقها وأوجدتها. نواصل القراءة.